

الزهاوي وآرائه التحررية

م.د. مازن قاسم مهلهل

مركز احياء التراث العلمي العربي

MazenQassem@gmail.com

القليل، وتحسب هذه الريادة للزهاوي لأنها تحققت في الشعر وليس في جنس آخر من أجناس التعبير عن بقية التأمّلات. حركته وتعدد آرائه اخذت الكتاب والنقاد الى متاهات فكرية واسعة، لذا تم تأليف الكثير من الكتب فيه، وعقدت من أجله الفصول لدراسة حياته، وتحليل فنه وأدبه، تضاربت فيه آراء النقاد والباحثين، واختلفت نظراتهم في تحليل وتقويم علمه وأدبه، وهناك من نظروا اليه من زاوية الإجماع فقد وجدوا فيه باحثاً اجتماعياً واعياً، يشخص العلل، ويطالب بالتححرر من التقاليد التقليدية، فضلاً عن مطالبته بالمساواة بين المرأة والرجل.

المخلص:

عادة ما يكون البحث عن اللحظة المتجددة بتجاربها وتنوع إبداعها، تعد من اللحظات المتفردة بخلق أشكالاً مغايرة لقضايا المجتمع، وهذا يستدعي طرح أسئلة تحتاج إلى إجابات مسندة بجزئيات التأمل بمستقبل افضل، يكرس في ابواب الثقافة بمختلف مكوناتها، وما قدمه الشاعر "جميل صدقي الزهاوي" يدخل من أبواب الريادة، التي أسس عليها نتائج نشاطه الفكري الخلاق، مما ترك أثراً في البنية الاجتماعية والحضارية، لتكون معلماً ودليلاً للأجيال القادمة التي باستطاعتها أن تغير من الواقع حتى لو

Al-Zahawi and his liberal views

Lect.Dr. Mazen Qassem Mhalhal

Center for Reviving the Arab Scientific Heritage / Iraq

Abstract

Usually the search for the renewed moment, with its experiences and the diversity of its creativity, is one of the unique moments in creating forms

different from the issues of society, and this calls for asking questions that need answers based on the parts of contemplation of a better future, consecrated in the doors of culture with its various

components, and what the poet "Jamil Sidqi Al-Zahawi" introduced One of the doors of leadership, upon which he based the results of his creative intellectual activity, which left an impact on the social and civilizational structure, to be a teacher and guide for future generations that can change reality even if a little, and this leadership is counted by Zahawi because it was achieved in poetry and not in another gender of expression. From the rest of the meditations.

His movement and the multiplicity of his views took writers and critics to a wide intellectual maze, so many books were written in it, and chapters were held for him to study his life and analyze his art and literature. In the meeting, they found in it a conscious social worker who diagnoses ills and demands liberation from traditional traditions, as well as his demand for equality between women and men.

أجناس التعبير عن بقية التأملات. حركته وتعدد آرائه اخذت الكتاب والنقاد الى متاهات فكرية واسعة، لذا تم تأليف الكثير من الكتب فيه، وعقدت من أجله الفصول لدراسة حياته، وتحليل فنه وأدبه، تضاربت فيه آراء النقاد والباحثين، واختلفت نظراتهم في تحليل وتقويم علمه وأدبه، وهناك من نظروا اليه من زاوية الإجتماع فقد وجدوا فيه باحثاً اجتماعياً واعياً، يشخص العلل، ويطالب بالتححرر من التقاليد التقليدية، فضلاً عن مطالبته بالمساواة بين المرأة والرجل.

لذا حرصت على تقديم بعض الجوانب التي تخدم بحثي الموسوم (الزهاوي وآرائه التحريرية) وتساعد على رقد الباحثين

المقدمة:

إن عملية البحث عن اللحظة المتجددة بتجاربها وتنوع إبداعها، تعد من اللحظات المتفردة بخلق أشكالاً مغايرة لقضايا المجتمع، وهذا يستدعي طرح أسئلة تحتاج إلى إجابات مسندة بجزئيات التأمل بمستقبل أفضل، يكرس في ابواب الثقافة بمختلف مكوناتها، وما قدمه الشاعر "جميل صدقي الزهاوي" يدخل من أبواب الريادة، التي أسس عليها نتائج نشاطه الفكري الخلاق، مما ترك أثراً في البنية الاجتماعية والحضارية، لتكون معلماً ودليلاً للأجيال القادمة التي باستطاعتها أن تغير من الواقع حتى لو القليل، وتحسب هذه الريادة للزهاوي لأنها تحققت في الشعر وليس في جنس آخر من

الجمهور. زوجة الزهاوي السيدة زكية داود نيازي، والتي توفيت بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٦١، وكانت قبيل وفاتها قد باعت البقية الباقية من مكتبة زوجها بما فيها الخزانة إلى محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية.

(١)

الزهاوي شاعر عراقي ولد في بغداد ١٨٦٣م، وتوفي فيها عام ١٩٣٦م، يعد من علماء عصره، تلقى علومه الأولى على يد والده، وكان نابغاً في اللغة العربية، شغوفاً بالاطلاع على كل جديد، عمل وهو صغير السن مدرساً في مدرسة السليمانية عام ١٨٨٥، وكان عمره لا يتجاوز الثانية والعشرين، تقلد الشاعر جميل الزهاوي عدة مناصب وهو في سن الشباب منها عضواً في مجلس المعارف عام ١٨٨٧ ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً لجريدة الموريتاني ١٨٩٠، وبعدها عين عضواً في محكمة استئناف بغداد عام ١٨٩٢، وفي نفس عام ١٨٩٢ سافر إلى تركيا مع والده الذي اصطحبه معه إلى اسطنبول ليلتقى هناك بمفكرها وعلمائها فأعجب بهم. عمل أستاذاً للفلسفة الإسلامية في دار الفنون بإسطنبول، ثم عاد إلى بغداد مسقط رأسه وعمل أستاذاً في مدرسة الحقوق، وعضواً في "مجلس المبعوثان" مرتين، وعند تأسيس الحكومة العراقية عين عضواً في مجلس الأعيان، لكنه وضع حد بينه وبين المؤسسة الملكية،

والدارسين على استجلاء بعض المعاني لما قدمه الزهاوي، تضمن البحث:

- ١- حياة وتاريخ الشاعر جميل صدقي الزهاوي
- ٢- مؤلفات الزهاوي وتنوع دلالاتها
- ٣- آراء الزهاوي وفلسفته
- ٤- الزهاوي والمرأة
- ٥- الدفاع عن المرأة

أولاً: حياة وتاريخ الشاعر جميل صدقي الزهاوي:

هو جميل صدقي بن محمد بن الملا أحمد، من ابوين كرديين، أبوه هو المفتي الشهير (محمد فيضي الزهاوي) الذي هجر أمه عن أحد عشر ولداً وبناتاً، يرجع نسبه إلى أمراء السليمانية "البابان"، وشهرة والده بالزهاوي لأن "جده" احمد بك هاجر الى "زهرة" وهذه بلدة تابعة لليوم إلى إيران، سكنها سنين وتزوج فيها من سيدة زهاوية فولدت والد الزهاوي، فلما رجع إلى السليمانية اشتهر بالزهاوي، أما أم الزهاوي فاسمها "فيروز" وهي سيدة عصبية المزاج من أسرة كردية، لذا يقول الزهاوي (لعلي ورثت العصبية منها) فقد كنت في صباي أدعى بالمجنون لحركاتي غير المألوفة، وفي شبابي بالطائش لخفتي، وفي كهولتي بالجريء لمقاومتي الاستبداد، وفي شيخوختي بالزنديق لمجاهرتي بأرائي الحرة المخالفة لآراء

الآخرين، وجلبت عليه نقمة المخالفين، وطالما انتصر لرأي ورجع عنه، أو أعلن فكرة وتخلّى عنها، وكان جَدّاً على العمل، يطالع كثيراً ويكتب كثيراً، كان يحفظ لأصحابه حقوق الصحبة، حتى بعد الوفاة، ... كان يحب النكتة، وله كثير من العجائب والغرائب.

الزهاوي كما كل شعراء العراق تقريباً مدح وذمّ وأشغل بالسياسة، أمّا "كمعارض" أو جزء من نسيج السلطة، إلا أنه (تميّز عنهم كونه تطرّق الى أبواب لم يتطرق إليها غيره من الشعراء، فالزهاويّ الذي دخل الكتاب في سن الرابعة لينهي فيه حفظه للقرآن، ولينقل بعدها لحفظ بعض العلوم وهو مازال فتى، بدأ الدراسة على يد العالمة الشيخ عبد الرحمن القره داغي الذي قام بتدريسه بعض العلوم العقلية والنقلية كما تم ذكره سابقاً، فقد إستفاد من استاذة فائدة كبيرة، على الرغم ممّا حدث بينهما من مجادلات حول كثير من القضايا، منها: البعث والنشور ويوم الحساب وأصل الإنسان، إذ كان الزهاوي يشك في كل هذه(٣).

وهذا يؤكد على أننا أمام شاعر متمرد على مفاهيم عصره، تلك المفاهيم التي ظلّت ولليوم محاطة بهالة من القدسية، كونها منطقة حرام ذات مليون خط أحمر ولم يتجاوزها أحد إلا وأتهم بالزندقة والكفر والإلحاد وليدفع جزأئها حياته أو حرّيته ثمناً،

وهذه المؤسسة قد نأت عنه بعد ان حاول أن يستغلها لحسابه، وبعد اكدت هذه المؤسسة انها لا تحتل مشاغباته ولا مشروعه الاعتراضي. (٢) كان مُحباً للعلم والعلماء، فكانت له عدّة مجالس يلتقي بها أهل العلم والأدب، يتبارون بالشعر والنثر، ومن هذه المجالس وأشهرها مجلس مقهى الشط، ومجلس مقهى رشيد حميد، حيث كان يلتقي بروّادها عصر كلّ يوم وهناك الكثير من المجالس التي كان روّادها من الأدباء والشعراء من أبرزهم الشاعر معروف الرصافي الذي كتب الشعر باللغتين العربية والفارسية.

انا هنا ليس بصدد التفصيل في حياة الزهاوي، لكن هناك ملاحظات لا بد ان تذكر، فهي تضيف لموضوعتنا هذه بعض الخطوط التي تعكس شخصية وتاريخ حياته، ومن خلالهما حددت آرائه وكتاباتة. قال عنه الأديب "طه الراوي": الزهاوي كان عصبي المزاج، سريع الغضب، سريع الرضا، بعيداً عن الحقد والضغينة، ولوعاً بلفت الأنظار اليه... كثير التطلع إلى معرفة آراء الناس فيه... وكان شغوفاً بالحرية إلى حد بعيد، ويطالب بإطلاقها إلى الحد الأقصى: حرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية القول، وحرية النشر، ولشدة اهتمامه وتمسكه بالحرية ناضل كثيراً عن حرية المرأة الشرقية، وكان جريئاً في إبداء آرائه، وإن ناقضت آراء

بتقاليد وعادات بالية كانوا يظنونها فرضاً من فروض الدين، أو شعاراً من شعاره) (٤) وقد كان الزهاوي يتابع الحركة الثقافية والعلمية والفلسفية في شتى البلدان، متأثراً بكل ما هو جديد وتقدمي من أفكار ورؤى، تلك التي تواجه أفكار ورؤى متخلفة من تلك التي كان يعيشها العراق وقته ولليوم، فتراه يقول باحثاً عن جديد في مجتمعه لينقله للأمام:

سئمت كلّ قديم عرفته في حياتي
إن كان عندك شيء من الجديد فهات
كما ربط الزهاوي رؤيته للطبيعة والحياة والمجتمع بصدق أحاسيسه وبالتصاقه الشعاري بالطبيعة النقية الساحرة والقوية والكريمة، وهو لذلك يحب الغزل ويعشق الفن والغناء على الأخص، أحب أم كلثوم وعبد الوهاب وغيرهما .. وقال في أم كلثوم لدى زيارتها بغداد سنة ١٩٣٢:

الفن روض أنيق غير مسموم
وأنت بلبله يا أم كلثوم
لأنت أقدر من غنى بقافية
لحناً يرجعه من بعد ترنيم
إني أخاف افتتاحاً فيه مفتضح
فإنما أنا شيخ غير معصوم
سلي بي القوم قبل اللوم باحثة
وبعد ذلك يا لوامتي لومي
يا أم كلثوم غني فالهوى نغم
تلذه الشيب والشبان كلهم

ويبدو أنّ المجادلات بينه وبين أستاذه تحوّلت الى إيمان مطلق بالعلم والفلسفة واللذان كانتا سلاحه في شعره، وهو يقف بوجه الغيبيات التي كانت تشع جهلاً وتخلفاً ولليوم، خصوصاً وأنه كان قارئاً نهماً لكل ما يصل للعراق وقتها من كتب ومجلات، لذا نراه وهو في سنّ الواحد والخمسين من عمره ينشر قصيدته "الدمع ينطق" وهو في مصر ما أثار عليه علماء الأزهر متهمين إياه بالكفر والألحاد والزندقة، والتي يقول في بعض أبياتها متأثراً بتلك الإرهاصات الأولى والتي لازمته كظله الى آخر حياته، عاش حياته لا يبالي من القيود ولا التقاليد، فهو شاعر ثائر، راغب في التجديد، متشائم أحياناً، يقف من مصائر الحياة والأمور موقف المتشكك، هو تلميذ صريح للمعري، سبق زمانه بوقت طويل فعاش غريباً وأثار عليه المحافظين ورجال الدين، لكنه هز الحياة في العراق وبقية البلدان، وذلك عبر ما رسمه لنفسه من خطوط قد تعطينا بعض الدوافع لاتجاهاته الثائرة التي وصفت بالانحراف. وقد اضطر في محنته هذه إلى بيع معظم كتبه، ثم هاجر إلى سوريا ومصر وظل في معارضته وينشد قصائد الهجاء حتى عاد إلى العراق.

كان الزهاوي (نشط منذ شبابه الى التبشير بالدعوة الفكرية الجديدة، والحث عليها، والتنديد بما عليه القوم من جهل، وتمسك

عليها، ممّا كان يُسبّب له الكثير من المشاكل مع المحيطين به، فكان يدعى المعرفة بالعلوم كلّها مما خلق له العداوات بين الأدباء الآخرين، (فزع الزهاوي من التفاوت الطبقي الذي أكل البلاد، وأردى طبقة تعمل عمرها ليعيش نفر من الناس على رؤوسها، وأسهم بحملة إنسانية تجد صداها في كثير من شعور معاصريه كالرصافي) (١)

كان الزهاوي ذكي في مختلف المجالات العلميّة والعلوم العقليّة والنقلية، وله الكثير من المؤلّفات في جميع هذه المواضيع منها: الدواوين الشعرية، التي تتحدّث عن القضايا العامة منها: "الشعر الوطني الحرّ" و"الشعر الغزلي الرائع"، وله من المؤلّفات الجاذبية وتعليها، والظواهر الفلكية الطبيعية، والفجر الصادق، ودواوين شعريّة باللغة الكردية. الزهاوي رائد أبداع في الشعر، فكراً جديداً لم يكن متداولاً، المهم هو وضع هذا الإبداع في متناول الجمهور المتعلم، المتطلع بشغف إلى التجديد، ليتحرك بفكرة إلى بناء الدولة الوطنية لما له من دوراً خطيراً ومؤثراً في أقدار السياسة والثقافة والمجتمع، وفي إطار من العقلانية والمنطق، فكل ما لا يقبله العقل وكل ما يتعارض مع المنطق مرفوض، على ضوء ذلك أعتقد أن الريادة التأسيسية للزهاوي تعبر عن نفسها بالمنهج الجدلي والعقلي الذي كان قد سبق جيله، وروح له

لا أريد هنا التعمق في حياة وشعر الزهاوي، لكن سأركز على ما يهمني في موضوعه البحث من آراء ومفاهيم تلامس واقعنا العراقي الحالي وما نحتاجه كشعب يعاني من السلطات والمؤسسات التي تتحكم في طبيعة الفرد ومجتمعه، ومنها حقوق المرأة وتطلعاتها والتي لم تكن سوى بضاعة عند أولياء أمورها، هذه المرأة التي أصبحت اليوم ضحية لشرّات الفتاوى، وما تفرضه التقاليد والأعراف والقوى المتسلطة بالسلاح وبالفساد، فضلاً عن الجهل والتخلف الذي كان يلفّ المجتمع العراقي في حياته. (تميز الانسان عن سائر الحيوانات بوفرة عقله وفرط ذكائه وقد كان العلماء في القرون القديمة يظنون أن التصورات والإدراكات الإنسانية، أو ما نسميها "غريزة" تختلف عن تصورات الحيوانات بالنوع، لكن لما تقدمت العلوم الحياتية أزلت الغطاء عن الحقيقة) (٥)، لذا أود أن أقارن حالة الجحيم التي أعلن فيها الزهاوي ومعه كبار الفلاسفة والمفكرين ثورتهم ضد زبانيته من خلال ملحمته الخالدة "ثورة في الجحيم"، وإحتلالهم للجنة التي يسكنها التابطة. وبين شعبنا وهو يعيش جحيم مغاير دمر كل شيء.

كان الشاعر الزهاوي شديد الإعجاب بنفسه إلى حدّ الغرور، يميل بشكّل عام إلى مخالفة غيره من الناس ويثير قضايا تعود المجتمع

الثامن "ديوان الزهاوي ١٩٢٤" طبع في مصر، وقد (تضمن جميع المنظومات منذ إعلان الدستور العثماني إلى سنة ١٩٢٤م) وضم إليه ما يليق للضم من رباعياته وديوانه الأول (الكلم المنظوم) وبوبه تبويباً جديداً لم يسبق إليه أحد (١٠)، التاسع "المجمل مما أرى" وهو (رسالة تحمل من الفلسفة الكثير، أودع فيها آراءه التي خالف فيها علماء عصره) (١١)، العاشر "رسالة في لعبة الداما تحتوي على ١٥٠٠ لعبة، الحادي عشر ديوان "رباعيات الزهاوي ١٨٢٤" طبع في بيروت، وهو الجزء الثالث من مختارات ما نظمه الزهاوي (١٢)، الثاني عشر " ديوان "اللباب ١٩٢٨" طبع في بغداد، جمع فيه المختار من شعره (١٣)، الثالث عشر "ترجمة رباعيات الخيام ١٩٢٨" وقد ترجمها من الفارسية نثراً ونظماً (١٤)، الرابع عشر رواية "ليلي وسمير ١٩٢٧" طبعت في بغداد، الخامس عشر "رسالة تختص في القواعد العربية لم تنتشر" السادس عشر "الأوشال ١٩٣٤" ويتضمن القسم الأخير من شعره، وهي قصائد نشرت في مصر والشام وبيروت وبغداد (١٥)، السابع عشر " نزغات الشيطان" قصائد لم تنتشر ويقول ستنتشر بعد موته لأنها تصطدم مع آراء المتعصبين وتثيرهم بشكل كبير، الثامن عشر "قصيدة ثورة في الجحيم ١٩٣١" وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها أربعمائة وثلاثة وثلاثون بيتاً، ونشرت

في كتابات ومؤلفات وفي قصائد كثيرة، وأنه وضع العقل في موضعه الصحيح، في الإبداع الشعري وفي النظر إلى شؤون الحياة معاً.

مؤلفات الزهاوي وتنوع دلالاتها وآرائها:

أول مؤلفاته "الكائنات ١٨٩٦" حيث اعطى فيه رأيه الحر عبر الزمان والمكان والقوة والحياة والمادة، وقال عنه: (هذه رسالة ألفتها قبل أن قتلت مباحثها علماً وتمحيصاً) (٧)، ثاني مؤلفاته "سباق الخيل" وهو رسالة كرس فيها تجاربه الخاصة في ركض الخيل، والثالث "الخط الجديد" وهذا الخط لا يشبه الخط العربي ولا الحروف اللاتينية، ومن الممكن تعلمه خلال اسبوع، ويكتب متصلاً من اليمين الى اليسار، وبالعكس، والرابع هو "دروس فلسفية" كان يلقيها على طلبته في جامعة الاستانة، أما الخامس كان ديوان "الكلم المنظوم ١٩١١" وقد نشر في بيروت، ويعد أول ديوان أخرجه للناس ويتضمن شعره إلى حين إعلان الدستور العثماني (٨)، والسادس هو "الفجر الصادق" فهو رد على الوهابية ومنكري المعجزات والكرامات، وقد طبع في مصر سنة ١٣٢٣هـ في أخريات أيام السلطان عبد الحميد، الاصدار السابع كان "الجاذبية وتعليلها ١٩١٠" وطبعها في بغداد عندما كان استاذاً في كلية الحقوق، وهي (رسالة ذهب فيها مذهباً خالف فيه حكماء العصر كافة في نظرية الجذب) (٩)،

للاستاذ جميل صدقي الزهاوي آراء علمية فلسفية، تستند إلى علم الطبيعة والظواهر، وخاصة نسبية انشأتين ومنهجه الإجماعي بالتحري واحترام المرأة وتقدير دورها في بناء الوطن وتمسكه بالواقعية ونيل الآراء وجرأة القول والتحرير على التحري من قيود الدين والتقاليد والمفاهيم المتخلفة وعلى تبني الفكر الإشتراكي، والفكر المادي، والإيمان بقوى الطبيعة والتسلح بالعلم، وذلك من خلال استيعابه لمفهوم اللانهاية في الكون، الذي قال عنه:

تحي السماء نجوماً ذات أنظمة
من الشمس كثيراً ليس تتحصر
نخالها ثابتات وهي مسرعة
كأنها الخيل في البيداء تحتصر
أما نتيجة هذا المستوى الرفيع من فهم المادة
والكون انعكس تماماً على مواقفه من
المجتمع والعادات والحياة العامة، وهذا ما
تطرق له عبر كتابه الفلسفي في الحكمة
والطبيعة، الذي ذهب فيه (مذهباً يخالف
مذاهب حكماء عصره، فارتأى أن المادة لا
تجذب المادة، بل إن المادة تدفع المادة،
وأبان أن الحجر الذي يسقط على الأرض لا
يسقط لجذب الأرض إياه بل لدفع المواد في
السماء له في الأرض) (١٧)

في مجلة الدهور، بيروت، فهي محاولة لتأسيس الإصلاح الديني، وهي أيضاً استلهم لرسالة الغفران للمعري، والكوميديا الإلهية لدانتى والنرفانا الهندوسية: وخلاصة الموضوع هو زيارة الملكان منكر ونكير له في قبره للحساب عن ذنوبه.. يسألهما:
ولماذا لم تسألاً عن جهادي
في سبيل الحقوق وهو شهيد
ولماذا لم تسألاً عن ذيادي
عن بلادي أيام عرّ النصير
ولماذا لم تسألاً عن مسد
اعي لإبطال الشر وهو خطير

للزهاوي (أثراً شعرياً نفسية، طرزها في ملحمة الصغيرة "ثورة في الجحيم" فإنه اقتفى فيها أثر شاعرين عربي وغربي، ليقف في التقليد عند الفكرة الأصلية الأولى في زيارة الجحيم والنعيم، فهو يختلف عن المعري في "رسالة الغفران"، وعن دانتى في "الكوميديا الإلهية" فيطرق الموضوع من باب جديد، وقد جاءه كمسلم مشكك في إيمانه) (١٦)
فضلاً عن المقالات: ما هو خاص باللغة العربية وقواعدها، وعلوم الطبيعة، والدفاع عن المرأة، والفيزياء، كما له رسائل نُشرت في "مجلة الكاتب" المصرية، وهناك مناظرات له دارت بينه وبين الكاتب المصري (عباس محمود العقاد).

ثانياً: آراء الزهاوي وفلسفة:

الزهاوي والمرأة:

كان الزهاوي نصيراً عنيداً للمرأة وكتب في حريتها ومساواتها بالرجل الكثير من الآراء ومن النثر والشعر، إحدى مقالاته في الدفاع عن المرأة نشرت عام ١٩١٠ سببت له المتاعب وانتهت بتسريحه من وظيفته في إحدى مدارس بغداد وشن حملات كبيرة من قبل الكتاب المتشددین الذين وصفوه بالمارق، إذ (اتخذت المسألة عند الزهاوي شكل القضية أو الدعوة أو الرسالة متمثلاً في هذا قاسم أمين متأثراً به متعدداً مثله مضار الحجاب) (١٨)، قصائده في تحرر المرأة كانت أشد وقعاً على الرجعيين والمتخلفين، وهذا ما ذكره الزهاوي لأكثر من مرة، وأكد على دور المرأة المهم في الحياة الأسرية والمجتمع وبناء الوطن، وأشار إلى مساوىء المفاهيم السائدة التي تحط من قدرها وتظهرها كمتاع يمتلكه الرجل ويفعل به ما يشاء ويحق له التخلي عنه أو استبداله متى رغب في ذلك، تلك المفاهيم التي لا تعترف للمرأة بمقوماتها كإنسان وبالتالي بحقوقها البشرية، إذ استشهد بأمثلة من نمط الحياة الأوروبية التي تتمتع المرأة بحريتها، مما يجعلها عنصراً فعالاً مساهماً في بناء المجتمع والحضارة ويوفر لها الكرامة الإنسانية واحترام كامل حقوقها، في المقابل وبالعالم العربي والإسلامي هناك من يجيز قسوة الرجل على المرأة ويسمح له باعتبارها

سقط متاع فلا رادع عنده من أن يكيل لها اللعنات والشتائم واللكمات ويعيدها إلى بيت أهلها مطلقة محرومة من الحياة الهادئة المستقرة، تساءل الزهاوي عن العدالة المزعومة في حق الرجل بتعداد الزيجات وفق معيار كمي وإعلان الطلاق متى شاء وحرمان المرأة من هذا الحق، (أن مقدار التحرر الذي تحصل عليه المرأة من العبودية السالفة في أي مجتمع هو أضبط مقياس لتحرر هذا المجتمع) (١٩)، كما أشار الشاعر والفيلسوف إلى الظلم متعدد النواحي والذي تتعرض له المرأة إضافة إلى الزواج والطلاق، فحق الميراث وقيمة الشهادة وشروط المظهر خارج المنزل وأسهامها في الشأن العام تثبت امتهاناً كبيراً للمرأة تبدو معه عبدة لا وزن لها ولا حقوق. وكان للزهاوي رأياً عن حجاب المرأة وتسترها أمام الرجال، (وهو من اشد المؤمنين بقاسم أمين والداعين لآرائه، فنادى في كتابه "تحرير المرأة" بالسفور على مقتضى الشرع أي سفور الوجه واليدين وإن كانت أماله تمتد الى سفور الرأي وسفور العقل وسفور الحرية والاختيار كما بلوره كتابه "المرأة الجديدة") (٢٠)، إذ بين أن في الأمر عمل فطيع لها، وتكريس لثقافة الخوف والضعف والخيانة وانعدام الثقة بين بني البشر، محدداً بذلك سلبيات الحجاب على كافة الأصعدة، وإيجابيات السفور التربوية والإجتماعية

هو عليه في الغرب حيث للمرأة احترامها ومكانتها وفرصها المتكافئة مع فرص الرجل، وبالتالي تمتع المجتمعات الأوروبية بإسهام الجنسين بالعمل والبناء وإضفاء مظاهر الطبيعية والتحضر والرفاهية على الحياة الإجتماعية، بسبب انتقاد المقام الذي تشغله المرأة في المجتمع، (فقد رأى العالم الفرنسي بسعة علمه، وتتبع ما رآه الزهاوي بقوة حسه الذي وصل اليه أي شعب من الشعوب في الحرية، فعلياً أن نبحت في الحرية التي يتمتع بها النساء فيه) (٢١)، ان بعض النساء في الغرب يتفوقن على الرجال وذلك بسبب حفظ حقوق بعضهم، والاحترام والمساواة والذي من خلالهما يمكنهما أن يبتعدا عن كثير من الاشكاليات، ويعيشا حياة راقية، على ضوء ذلك ارى: عكس ما يجري عندنا في الشرق حيث المجتمعات النائمة بسبات طويل عما يحدث من تطور سريع في الغرب:

الشرق ما زال يحبو وهو مغتمض والغرب يركض وثباً وهو يقظان والغرب أبناؤه بالعلم قد سعدوا والشرق أهلوه في جهل كما كانوا

ويرى أن السبب الرئيس في نقص حياتنا واكتمال الحياة في الغرب هو موقع المرأة في المجتمع:

وكل جنس له نقص بمفرده

وانعكاسه على قدرة المرأة في التفاعل مع الرجل لتطوير المجتمع والتقدم نحو حياة أفضل، كما أن ما يترتب على الحجاب من مضار كثيرة، منها فقدان الثقة بالرجل ليفهم إنها لا تخونه، كما هو يغير من الشكل ويغطي الوجه حتى لا يعرفها احد، وهذا يدعوا الغربيين إلى القول بأن المسلمون لو كانوا واثقين بعفة نساتهم لما ضغطوا عليهن ليختفين عن عيون الآخرين، وهذه الآراء مختلفة حسب المكان والزمان، كتب عن الحجاب:

كان الحجاب يسومها خسفاً وبرهقها عذابا إن الألى قد أذنبوا هم صيروه لها عقابا وسيطلب التاريخ من ناس لها ظلموا الحسابا

لقد أثار رأي الزهاوي اضطهاد الرجل للمرأة في المجتمع العراقي، وسلوكية العنف والإرهاب التي تمارس بحقها والإستهتار بإنسانيتها وتعامله غير اللائق مع العذوية والرقة الأنثوية:

ما أتعس الحسنا يملك أمرها الزوج العنيف ، وهو إذ يرى في الشرق استهانة بقدر المرأة وتهميشاً لها خارج حياة العمل والعطاء والإبداع، ومشاركة الرجل في تطوير المجتمع وبناء الوطن فإنه يقارن الحال بما

في مواقف وأمكنة كثيرة يقول الرجل أنا أقوى من المرأة واغظ منها رقبة، واحد منها مخلباً وأكثر ارتقاء، فيقول يجب أن أتمتع وحدي بالحرية التي هي أكبر حق من الحقوق الإنسانية، لذا يرى الرجل في واقع المجتمع المتخلف سبباً صريحاً لاستمرار مظاهر قهر النساء واضطهادهن وحرمانهن من الحرية والمساواة.

أجاز الإسلام الطلاق اذا لم يستطيع الرجل أن يعدل، أو يوفر احتياجات المرأة، لكن الذي حدث يطلق الرجل المرأة ويستبدلها كجارية، ويترك معها أطفالها الذين هم نتاج شهوته، وهذا يعد من اهم مظاهر قهر المرأة يتجلى في سهولة الطلاق عند الرجل، والعصمة في يده، يلوح به حينما يشاء وتحت أية حجة أو حالة دون رادع أو تحسب لما يتركه هذا العمل الأناني من إهانة للمرأة وتحطيم للأسرة وبؤس وحرمان: وقد يطلقها في حانة ثملاً

كما يؤكد الرجال أن المرأة هي متاع الرجل، خلقت للذته فإذا قضاها جاز له أن يستبدلها بمتاع آخر يجدد ما كتب له. وهذا الرأي للزهاوي" إذ يقول الظلم الواقع على المرأة يبدأ في البيت وهي طفلة عند أهلها الذين أرضعوها الخوف والدونية مع حليب الطفولة، وتكبر للزواج المبكر القسري بعيداً عن أية

أما الحياة فبالجنسين تكتمل

ذلك الموقع الذي يجعل الناس مشغولين بالعمل والإبداع والإنتاج الوفير بينما نحن مشغولون بالترهات وبتبادل الإتهام في قضايا الدين:

الغرب يشغله مال ومترية
والشرق يشغله كفر وإيمان

ولكنه لم يفقد الأمل بنهضة العرب إن هم استيقظوا، وفي مكان آخر يعيد تأخر العرب إلى التعصب والتمسك بمفاهيم الماضي المتخلفة وبمواقف الرجال الأنانية من المرأة بالتحديد، والتي تركت آثارها السيئة على كل شيء:

هو التعصب قد والله أحرکم
عن الشعوب التي تسعى فتقترب

الرجل بدون المرأة قياس عقيم لا ينتج، لأنه إذا مات بدون ولد يخلفه لم يبق منه ذلك القليل وأما إذا اقترن بالمرأة فهو يزيد بها عدداً ويكثر بما تنتجه الحياة المستمرة، فضلاً عن مساعدة الرجل والتخفيف عن عبء الحياة عليه. لذا لا بد أن يكون الزواج متكافئاً، وإذا كان عكس ذلك مثلاً فارق السن، أو بعيدين عن المودة والحب والإحترام والإعتراف للمرأة بإنسانيتها، بهذا الشكل تكون الحياة جحيمية ومتعبة،

المرأة والدفاع عن حقوقها وقد قيل عنه الكثير.. فقال عنه: الدكتور عبد الرحمن الشاهبندر في تأبينه:

" إذا أردنا أن نكبر الزهاوي ونخلد ذكره فعلينا أن ننشئ باسمه، وفي مسقط رأسه مدرسة للإناث يعلمن فيها من فنون الأدب والعلم... " دفاع الزهاوي عن المرأة جلب له المتاعب وقد هجاه لذلك كثيرون فيما لم ترق لأصدقائه حملات الحاقدين.

الدفاع عن المرأة:

يقول الزهاوي: (المرأة اول من حنت عليّ عندما كنت ضعيفاً، احتاج إلى حنو قوي يتعهدني ويدراً عني مزاحم الحياة، عندما كنت طفلاً أضع البرامج من ثدي الأم وأنا م على ذراعها هادئ البال، والمرأة أول معلم علمني درس الكلام لأدخل معركة الحياة، والمرأة اول من همت في غرامها ووددت مجالستها ومحادثتها يوم دفعتني شرح الشباب لأتخذ منها لي سكناً يقاسمني سراء الحياة وضراءها (٢٣)، ولكنه نال بالمقابل الكثير من المديح من قبل شعراء شاطروه الآراء التقدمية مثل معروف الرصافي:

وما الآداب في بغداد لولا

يراعَ جميلها إلا دعاوي

إذا ما قال في بغداد شعراً

رواه له بأقصى الأرض راوي

أعيدك يا جميل الشعر من أن

يسوءك نقد أرباب المساوي

قيمة إنسانية وفي بيئة متخلفة ظالمة تتكسر فيها كل أشكال العبودية والقهر :

لقد روعوها ثم نامت عيونهم

وليس سواء نائم ومروع

وقد زوجها وهي غير مريدة

بشيخ كبير جاء بالمال يطمع

كان ينظم الشعر على (رسله وطوع طبيعته، لم يتصنع فيه، طاقته الشعرية لم تكن محدودة، لذا اصبح عنده رسم الصور الشعرية وسيلة للتعبير عن أفكاره، وإظهار احساسه ومشاعره) (٢٢)

هكذا صور الزهاوي المجتمع العراقي، الذي تكبله قيود المفاهيم الرجعية والموقف اللاإنساني من المرأة ومن التحرر الإجتماعي، وهو إذ يضع الإصبع على الجراح في مرحلة مبكرة نسبياً فإنه يرى أن الخلاص من هذا الواقع السيء ممكن والنهوض بالوطن والمجتمع ممكن بشرط التخلص من أسباب الظلم والتمييز المفروض على المرأة، والإذعان لهما والخضوع للرجل على أساس هذه الإشكاليات، أن يمتلك قناعة راسخة مبنية على أسس ومعايير إنسانية أثبتت صحتها وجدواها، فهو فخور بدفاعه عن المرأة وبثحرر الوطن وتقدمه بتحرر المرأة، وقد عرف الزهاوي بين شعراء وفلاسفة وسياسيي العراق ومصر وبلاد الشام بموقفه المتميز والصريح تجاه مسائل

كلّ ما هو قديم ودعاها إلى السفور، ومن أهمّ هذه القصائد ما تعلّق بحجاب المرأة أي غطاء الوجه، وحديثه بأن الحجاب لا يقي عفة الفتاة فقط بل يقيها علمها وثقافتها، فقال مخاطباً الفتاة العراقية:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا
أسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث
فقد كان حارس كذابا

أرى أن ما جاء في هذه الأبيات القليلة من أكثر ما قاله الزهاوي قوة وصراحة وإصراراً على إرجاع ضعف المجتمع وتخلفه إلى مسألة الموقف من المرأة، لكونها جاءت في مواجهة صريحة مع ممثلين لثقافة أحد أهم عناوينها، عزل المرأة عن المجتمع والتقليل من قيمتها ودورها في الحياة. (فقد ظهرت روح المجازفة في روح المجتمع، وتظهر الرغبات الكامنة في النفوس فيسير بعضهم في ركاب اليأس والخيبة لأنهم لم يفوزوا بأمانيتهم) (٢٤)

هناك رأياً مهماً للزهاوي في ملهارة فلسفة الدنيا، التي أرادها أن تكون بالمفهوم السائد في بلاده، طامحاً لتضمينها مفاهيمه الثورية والإنسانية وقناعاته العلمية كافة، وقد وصل إلى ما أراد فكانت الملحمة الشعرية الفلسفية الوحيدة باللغة العربية التي اتصفت بالكفاح من أجل الإستقلال ومن أجل الحرية والتقدم

لقد أحب شعراء الشرق جميل صدقي الزهاوي ولم يفوتوا فرصة لإظهار إعجابهم به فكراً وشعراً وفلسفة وشخصية أيضاً وهو لذلك متفائل رغم ما أحاط به من متاعب طالما الأمل باق في النفوس:
تبقى الحياة على الأرزاء طيبة
مادامت النفس بالأمال تتصل
وقال محمد مهدي الجواهري قصيدة رائعة في رثاء الزهاوي مطلعها:

على رغم انف الدهر ذكراك خالد
ترن بسمع الدهر منك القصائد

مؤكداً على أن المكانة الفكرية والعلمية الكبيرة للزهاوي والتي كان يتمنى أن يستفيد الوطن والمجتمع منها أكثر حضورت، فقفل قصيدته قائلاً:

أضاعوك حياً وابتغوك جنازة
وهذا الذي تأباه صيد أمجد

كان الشاعر الزهاوي جريئاً وصلباً في مواقفه وآرائه مع الحكام، فهاجمهم في كثير من قصائده خاصةً عندما كان الحكام يبطشون بالأحرار وينفذون أحكام الإعدامات بحقهم، دافع بقصائده عن الضعفاء والمحرومين من أبناء شعبه، ومن بينهم المرأة، إذ نظم الكثير من قصائده التي تطالب المرأة بالتمرد على الظلم والتحرر من ثقافاتٍ قديمةٍ تقيد حريتها وتحدّ من انطلاقتها نحو مستقبلٍ أفضل، وقد بالغ كثيراً في دعوة المرأة إلى التمرد على

به، أن الزهاوي سعى الى التجديد، والتخلص من أعباء الأساليب والسلوك التقليدية على مر الأزمنة، فضلاً عن أنه يريد أن يتحرر من كل الافكار والأعراف القديمة، لينطلق عبرها آلة أمكنة تنتفس الحياة.

الخاتمة:

يعد الجواهري من الشعراء المجددين، نقرأ في شعره نزعات نفسه، تدل على انه متمرد على القيود القديمة، يستوحى شعره من أمته، يسمع أنين الوطن فيرسله عبر كلماته ومواقفه الى روح أبناء هذا الوطن، ليعتلو معه إلى قيم ومعاني متعالية المجد، فهو بشر بالحرية وكان يعشقها أيام الاستبداد، حتى اصبح مثلاً اعلى لكثير من الشعوب. الزهاوي شاعر راقٍ له ثقافة خاصة تتجلى من سعة اطلاعه اللغوي، وبالتالي هو قديراً على الإنتاج الشعري بنحو ابداعي كثير، كما أنه يمتاز بحرية الفكر، وسلاسة أسلوبه السهل الممتنع، تصدى في شعره ومواقفه وفي آرائه من أجل التعبير عما يريد أن يقوم به ، لأنه يجرؤ على المصارحة حتى يتم تحرير كل الأفكار من التقاليد والأساطير التي تعبت بكثير من العقول وحتى النفوس.

الإجتماعي ومحاربة التخلف والرجعية وسيطرة الإقطاعية ورأس المال على المجتمع والتحكم بمظاهره وتكريس الأمية والتخلف والخوف من حرية الفكر ضماناً لنفوذهم واستمرارية مصالحهم، لقد عبرت آراء الزهاوي عن رفض ومعارضة أكثر الناس نزاهة وخلقاً وعطاءً ووطنية، من أدباء وعلماء وفنانين وسياسيين ومثقفين ومنتجين عبر مراحل التاريخ، لثقافات الخوف والغيب والرجعية والتعصب والتقاليد الأسطورية وطوقسها وما تجلبه هذه الثقافات من عبودية وأميه واضطهاد وحرمان وجوع وانتشار للأمراض الاجتماعية والفساد، (قام الزهاوي بدعوة الناس إلى الجامعة الإسلامية، ودعا الناس للسير تحت راية العثمانيين، واعتبر من لا يسير تحت هذه الراية ملحداً أو كافرً وباغياً، وهاجم الحركة الوهابية واعتبرها حركة الفرقة الهالكة) (٢٥)، وما ينجم عنها من ظلم، فقد أكد الزهاوي على أن من يبني الأوطان وينعش أرضها ويحيي مجدها، هم أولئك الناس العقلاء والمخلصون، رجالاً ونساءً ممن يوصفون ظلماً بالكفار والمتشددين، وهم الأكثر إيماناً بالعدالة والسلام والتطور وسعادة البشرية، فضلاً عن أنهم الأكثر عطاءً واستعداداً للعمل من أجل ذلك. أرى وفق ما تقدمت

الهوامش:

- ٧- زهاوي زاده جميل صدقي افندي، الكائنات، مصر: مطبعة المقتطف، ١٨٩٦.
- ٨- جميل صدقي الزهاوي، الكلم المنظوم، بيروت: المطبعة الأهلية، ١٣٢٧هـ، ١٩٠٨م
- ٩- جميل صدقي الزهاوي، الجاذبية وتعليلها، بغداد: مطبعة الآداب، أيلول ١٣٢٦ هـ، ١٩٤٧.
- ١٠- جميل صدقي الزهاوي، ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م
- ١١- جميل صدقي الزهاوي، المجمل مما أرى، مصر: المطبعة العربية، ١٣٤٢هـ، ١٩٢٤م.
- ١٢- جميل صدقي الزهاوي، رباعيات الزهاوي، بيروت: مطبعة القاموس، ١٩٢٤.
- ١٣- جميل صدقي الزهاوي، اللباب، بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٨]
- ١٤- جميل صدقي الزهاوي، رباعيات الخيام، بغداد: مطبعة الفرات، ٢٢ مايس ١٩٢٨.
- ١٥- جميل صدقي الزهاوي، الأوشال، بغداد: الديوان الخامس، ٢٩ ايلول ١٩٣٤.
- ١٦- ملوك العرب، تحقيق: أمين البرت ربحاني، الطبعة الأولى ص ٢٧١ - ٢٧٨ .
اما الطبعة الثانية ص ٣٩٨ - ٤٠٥ .
- ١٧- عبد الحميد الرشودي، الزهاوي دراسات ونصوص، تقديم عبد المنعم الأسم، الجزء الأول، بيروت: الناشر مركز الزهاوي للثقافة

١- عبد الحميد الرشودي، الزهاوي دراسات ونصوص، بقلم الدكتور محمد صبري السوري، الجزء الثاني، بيروت: الناشر مركز الزهاوي للثقافة والتراث، مطبعة نائر العصامي للطباعة الحديثة، ٢٠١٣، ص ٢٠٧.

٢- عبد الحميد الرشودي، الزهاوي دراسات ونصوص، بقلم محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي - دمشق، الجزء الثاني، بيروت: الناشر مركز الزهاوي للثقافة والتراث، مطبعة نائر العصامي للطباعة الحديثة، ٢٠١٣، ص ٢١٥.

٣- ديوان جميل صدقي الزهاوي الصفحة د

٤- عبد الحميد الرشودي، الزهاوي دراسات ونصوص، تقديم: عبد المنعم الاعسم، الجزء الثاني، بيروت: الناشر مركز الزهاوي للثقافة والتراث، مطبعة نائر العصامي للطباعة الحديثة، ٢٠١٣، ص ٤٦.

٥- محاضرة منشورة في مجلة (لسان العرب): المجلد الأول - الجزء الثاني، جمادي الأولى ١٣٣١ (الاستانة) ، وهي مجموعة الدروس الفلسفية التي ألقاها الأستاذ جميل صدقي أفندي الزهاوي في مكتب الملكية، ومترجمة بقلم "ابن الصالح"

٦- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ج ٢، ص ٢٠.

- والفنون، مطبعة نائر العصامي للطباعة الحديثة، ٢٠١٣، ص ٣٦٧.
- ١٨- عبد الحميد الرشودي، الزهاوي دراسات ونصوص، بقلم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، الجزء الثاني، بيروت: الناشر مركز الزهاوي للثقافة والفنون، مطبعة نائر العصامي للطباعة الحديثة، ٢٠١٣، ص ٣١.
- ١٩- جميل صدقي الزهاوي، اللباب، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- ٢٠- عبد الحميد الرشودي، الزهاوي دراسات ونصوص، بقلم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، المصدر السابق، ص ٣٧.
- ٢١- جميل صدقي الزهاوي، اللباب، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- ٢٢- الدكتور إسماعيل أحمد أدهم، مجلة "الإمام" عدد خاص بالشاعر "العزاوي" مارس، ١٩٣٧، ص ١٠٢.
- ٢٣- نشر الزهاوي هذه المقالة في صحيفة(المؤيد) في عددها المرقم ٦١٣٨ الصادر في ٢/ شعبان سنة ١٣٢٨ الموافق ٧/آب/١٩١٠.
- ٢٤- الكاتب، الشعر العراقي الجديد، الفصل الاول، ص ٣٢.
- ٢٥- الفجر الصادق، راجع المقدمة، القاهرة: ١٩٠٥، ص ١١.